

عصر المرابطين في الأندلس (479 - 542 هـ / 1086 - 1147 م) يمثل مرحلة الإنقاذ والوحدة بعد عقود من التمزق والضعف في عصر ملوك الطوائف، نجحت هذه الدولة القادمة من صحراء الإقليمية المغرب في توحيد الأندلس تحت راية واحدة، وتأخير سقوطها أمام المد المسيحي لقرنين من الزمان. فيما يلي مقالة تاريخية مفصلة مقسمة لتغطي محاور هذا العصر الحاسم

الصفحة الأولى: العبور المبارك ومعركة الزلاقة (الإنقاذ)

الأندلس على حافة الهاوية

في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، بلغت الأندلس ذروة ضعفها السياسي بعد سقوط مدينة طليطلة الاستراتيجية عام 1085 م في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة. أدرك ملوك الطوائف أن عروشهم مهددة. **دولة المرابطين**: بالزوال، ولم يجدوا مفرّاً من الاستجداء بالقوة الناشئة في المغرب العربي

العبور الأول ليوسف بن تاشفين

استجاب أمير المرابطين، **يوسف بن تاشفين**، لنداءات الاستغاثة وعبر مضيق جبل طارق بجيشه الصحراوي المنظم عام 1086 م. التقت القوات المرابطية بالجيوش الأندلسية بقيادة المعتمد بن عباد، وتوجهوا شمالاً لمواجهة الخطر القشتالي.

ملحمة الزلاقة (479 هـ / 1086 م)

في سهل الزلاقة بالقرب من بطليوس، دارت واحدة من أعظم المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي

- استخدم يوسف بن تاشفين عنصر المفاجأة وقسم جيشه بذكاء، مستعيناً بقوات: **التكتيك العسكري**.
 - الطوارئ والطبول الحربية التي أرعبت خيول القشتاليين.
 - سحق جيش ألفونسو السادس تماماً، ونجا الملك القشتالي في عدد قليل من رجاله: **النتيجة الحاسمة**.
 - أوقفت المعركة حركة "الاسترداد" المسيحية، وأعادت للمسلمين هيبتهم في شبه: **الأثر التاريخي**.
- الجزيرة الإيبيرية

الصفحة الثانية: ضم الأندلس والاستقرار السياسي

زوال ملوك الطوائف (483 هـ / 1090 م)

بعد انتصار الزلافة، عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب. لكن ملوك الطوائف سرعان ما عادوا إلى منازعاتهم السابقة واستعانوا مجدداً بالممالك المسيحية. وبناءً على فتاوى كبار علماء المسلمين في الشرق والغرب (بمن عزل ملوك الطوائف وتوحيد البلاد: فيهم الإمام الغزالي)، عاد ابن تاشفين إلى الأندلس بهدف واحد.

- عزل بنو عباد في إشبيلية وبنو ذي النون في طليطلة وبنو زيري في غرناطة.
- تحولت الأندلس من دويلات متنازعة إلى "ولاية" تابعة لدولة المرابطين وعاصمتها مراكش.

الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي

شهدت الأندلس في العصر المرابطي استقراراً أمنياً كبيراً أدى إلى انتعاش اقتصادي

- ألغى المرابطون المكوس والضرائب الثقيلة التي فرضها ملوك: إلغاء الضرائب غير الشرعية الطوائف، واكتفوا بالزكاة والعشور الشرعية.
- أصبح الدينار المرابطي اليمني أقوى عملة تجارية في حوض البحر: صك الدينار المرابطي الأبيض المتوسط، وتداولته حتى الممالك الأوروبية لشدة نقائه.
- استمرت الحملات العسكرية لتأمين الحدود، وكان أبرزها استعادة مدينة بلنسية: الدفاع عن الشغور. من يد القائد القشتالي "السيد الكمبيادور" عام 1102 م.

الصفحة الثالثة: التحول الثقافي، التراجع، والسقوط

الملاحم الثقافية والفكرية

تميز العصر المرابطي بصبغة دينية محافظة، حيث ساد المذهب المالكي واحتل الفقهاء مكانة سياسية رفيعة في توجيه سياسة الدولة. ورغم الجفاء الأولي بين البداوة المرابطية والحضارة الأندلسية المترفة، إلا أن العصر شهد نبوغ أسماء كبرى

- برزت أسرة "ابن زهر" اللامعة في الطب، وبدايات الفيلسوف ابن باجة: **الطب والعلوم**.
 - اشتهر الأعمى التطيلي وابن خفاجة (شاعر الطبيعة الأندلسي) وعالم النحو ابن السيد: **الأدب**.
- البطلينوسي

مرحلة الضعف والتراجع

بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام 1106 م، تولى ابنه **علي بن يوسف**، الذي كان ورعاً وتديناً، لكن عهده شهد بداية التراجع

- قاد ألفونسو المحارب ملك أراغون حملات عنيفة واستولى على مدينة **تجدد الخطر الشمالي**.
 - سرقسطة الاستراتيجية عام 1118 م، وهي أهم قواعد الثغر الأعلى.
 - ثار الأندلسيون ضد الحكام المرابطين (البربر) بسبب إساءة بعض القادة: **الثورات الداخلية**.
- العسكريين وتشدد الفقهاء

سقوط الدولة (542 هـ / 1147 م)

بينما كانت الأندلس تغلي بالثورات الداخلية (التي عُرِفَت بفترة الفتنة الثانية أو الطوائف الثانية)، ظهرت في المغرب حركة دينية وعسكرية جديدة هي **دولة الموحدين** بقيادة عبد المؤمن بن علي. ضعفت قبضة المرابطين في المغرب، مما انعكس مباشرة على الأندلس. وبسقوط العاصمة مراكش في يد الموحدين عام 1147 م، انهارت دولة المرابطين تماماً، لتنتقل الأندلس إلى حقبة جديدة تحت الراية الموحدية